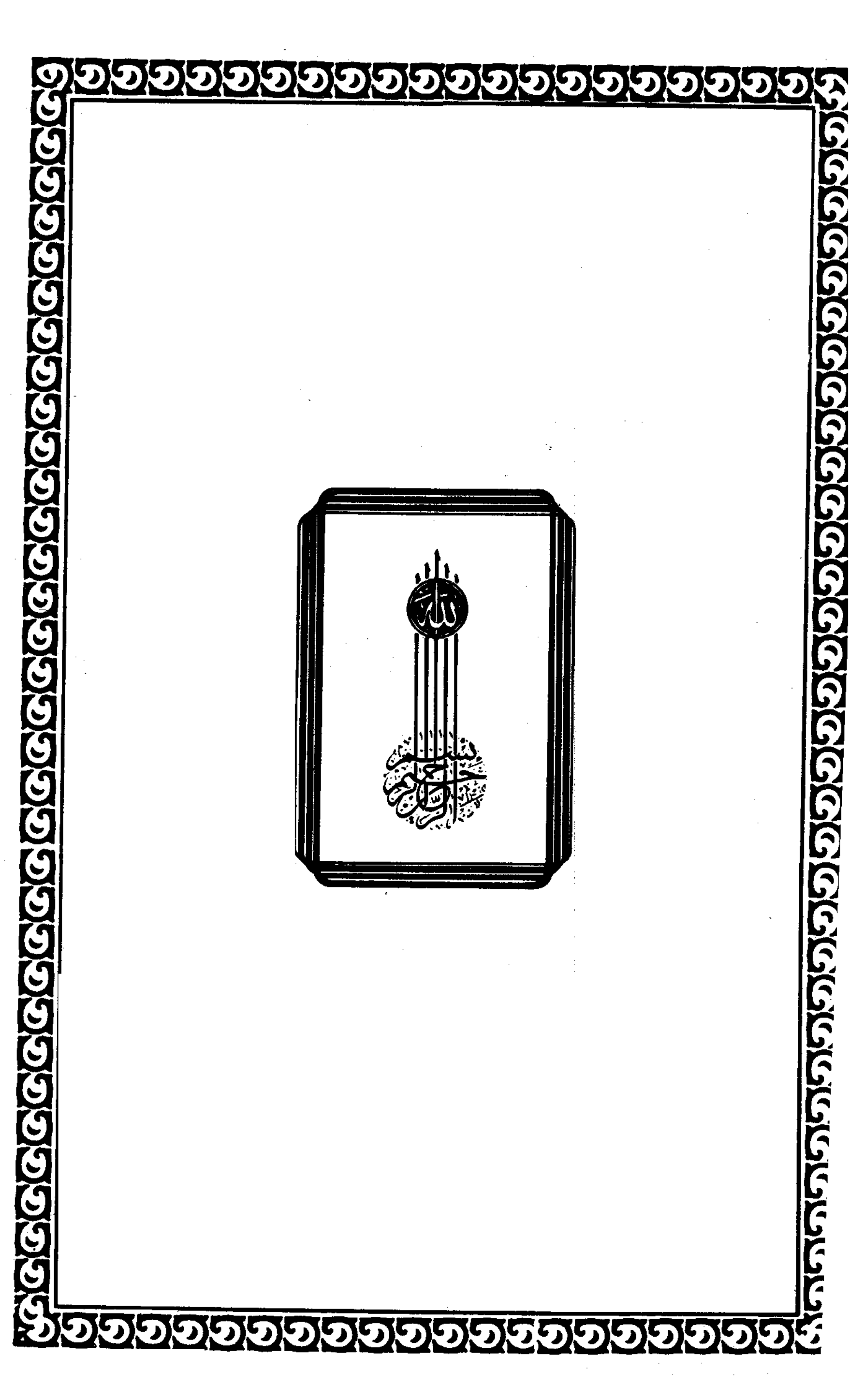
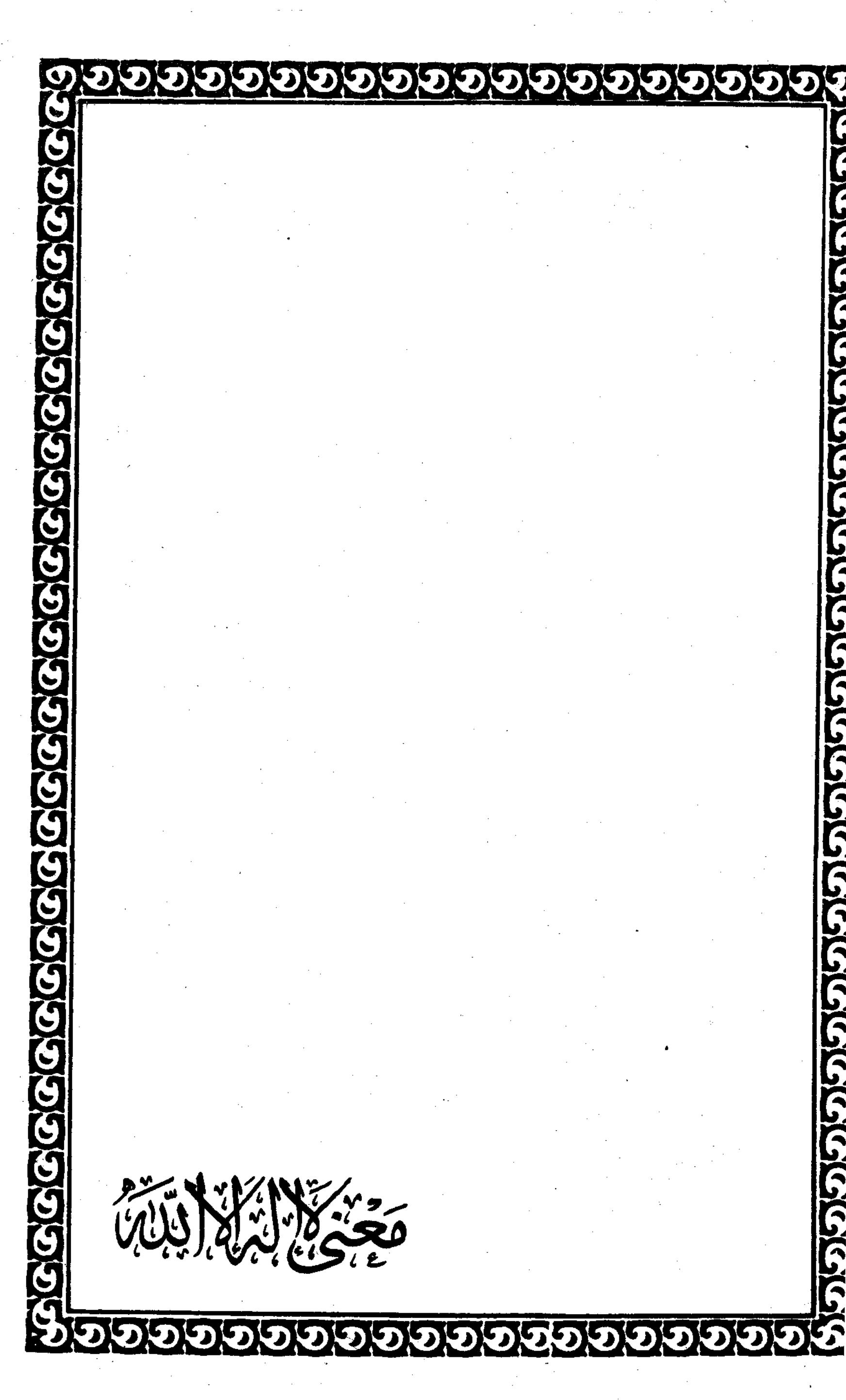
المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

معنى لا إله إلا الله

ومقتضاها وآثارها فى الفرد والمجتمع

بقلم
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء
بالرياض


بسم الله الرحمن الرحيم


معنى لا إله إلا الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وكل من اتبعه وتمسك بسنته الى يوم الدين.... أما بعد: -

فان الله سبحانه وتعالى أمرنا بذكره وأثنى على الذاكرين ووعدهم أجرا عظيما فأمر بذكره مطلقا، وبعد الفراغ من العبادات.. قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(1)

وقال:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(2)

وأمر بذكره أثناء أداء مناسك الحج خاصة فقال تعالى:

---

(1) الآية من سورة النساء رقم (١٠٣).

(2) الآية من سورة البقرة رقم (٢٠٠).

﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[3]

وقال تعالى

﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾[4]

وقال تعالى

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[5]

وشرع إقامة الصلاة لذكره فقال :

﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله)[6] . . . وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[7]

ولما كان أفضل الذكر: لا اله الا الله وحده لا شريك

---

(٣) الآية من سورة البقرة رقم (١٩٨).

(٤) الآية من سورة الحج رقم (٢٨).

(٥) الآية من سورة البقرة (٢٠٣).

(٦) رواه مسلم.

(٧) الآيتان من سورة الأحزاب رقم (٤١ـ ٤٢).

له ـ كما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خير الدعاء دعاء عرفة وخير ما قلت أنا والنبيين من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير)[8] ولما كانت هذه الكلمة العظيمة (لا اله الا الله) لها هذه المنزلة العالية من بين أنواع الذكر ويتعلق بها أحكام ولها شروط ولها معنى ومقتضى، فليست كلمة تقال باللسان فقط ـ لمّا كان الأمر كذلك آثرت أن تكون موضوع حديثى راجيا من الله تعالى أن يجعلنا واياكم من أهلها المستمسكين بها والعارفين لمعناها، العاملين بمقتضاها ظاهرا وباطنا.

وسيكون حديثى عن هذه الكلمة فى حدود النقاط التالية: ـ

مكانة لا اله الا الله فى الحياة، وفضلها، وإعرابها، وأركانها وشروطها ومعناها، ومقتضاها، ومتى ينفع الانسان التلفظ بها، ومتى لا ينفعه ذلك وآثارها فأقول مستعينا بالله تعالى: ـ

---

(٨) رواه الترمذى.

١ ـ مكانة لا اله إلا الله فى الحياة إنها كلمة يعلنها المسلمون فى أذانهم واقامتهم وفى خطبهم ومحادثاتهم وهى كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله ورسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة الى مؤمنين وكفار، فهى منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهى الحق الذى خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهى كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون... فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: (ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين)، وجواب الأولى بتحقيق لا اله الا الله معرفة واقرارا وعملا. وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وانقيادا وطاعة)[٩].

(٩) زاد المعاد لابن القيم (١/٢).

هذه الكلمة هى الفارقة بين الكفر والإسلام، وهى كلمة التقوى. والعروة الوثقى وهى التى جعلها ابراهيم ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(١٠). وهى التى شهد الله بها لنفسه وشهدت بها ملائكته وأولوا العلم من خلقه، قال تعالى

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١١)

وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ولأجلها خلق الخلق كما قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١٢)

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، كما قال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(١٣)

---

(١٠) من الآية (٢٨) من سورة الزخرف.

(١١) سورة آل عمران الآية (١٨) وأنظر مجموعة التوحيد (١٠٥، ١٦٧).

(١٢) من الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

(١٣) من الآية (٢٥) من سورة الأنبياء.

وقال تعالى :

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاتَّقُونِ ﴾[١٤] .

قال ابن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا اله الا الله. وإن لا اله الله لأهل الجنة كالماء البادر لأهل الدنيا[١٥] ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر، ففى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)[١٦] وهى أول ما يطلب من الكفار عندما يدعون الى الإسلام فان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له : انك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله) الحديث أخرجاه فى الصحيحين[١٧] .

---

(١٤) من الآية (٢) من سورة النحل.

(١٥) كلمة الاخلاص لابن رجب ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(١٦) رواه مسلم فى الايمان برقم (٢٣).

(١٧) رواه البخاري (٣/٢٥٥) ومسلم فى الإيمان برقم (١٩).

وبهذا تعلم مكانتها فى الدين وأهميتها فى الحياة وأنها أول واجب على العباد لأنها الأساس الذى تبنى عليه جميع الأعمال.

٢ ـ فضل لا اله إلا الله: فلها فضائل عظيمة ولها من الله مكانة، من قالها صادقا أدخله الله الجنة. ومن قالها كاذبا حقنت دمه وأحرزت ماله فى الدنيا وحسابه على الله عز وجل، وهى كلمة وجيزة اللفظ قليلة الحروف خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان ـ فقد روى ابن حبان والحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال موسى يارب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به قال يا موسى قل لا اله الا الله ـ قال كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهن لا اله الا الله)[١٨] فالحديث يدل على أن لا اله الا الله هى أفضل الذكر، وفى حديث عبدالله بن عمر مرفوعا: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون

(١٨) رواه الحاكم (١/٥٢٨) وابن حبان برقم (٢٣٢٤) مورد الظمآن.

من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) رواه ـ احمد والترمذى[١٩]، ومما يدل على ثقلها فى الميزان أيضا ما رواه الترمذي وحسنه، والنسائى والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، عن عبدالله بن عمرو: قال النبى صلى الله عليه وسلم (يصاح برجل من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال أتنكر من هذا شيئا، فيقول لا يارب، فيقال: ألك عذر أو حسنة فيهاب الرجل فيقول لا ـ فيقال بلى إن لك عندنا حسنات، وانه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال أنك لا تظلم، فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)[٢٠] ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب فى رسالته

(١٩) الترمذي فى الدعوات رقم (٣٥٧٩).

(٢٠) رواه الترمذى رقم (٢٦٤١) فى الإيمان والحاكم (١/٥ـ ٦) وغيرهما.

المسماة (كلمة الاخلاص) واستدل لكل فضيلة ومنها: أنها ثمن الجنة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة) وهى نجاة من النار: وهى توجب المغفرة، وهى أحسن الحسنات، وهى تمحو الذنوب والخطايا وهى تجدد ما درس من الايمان فى القلب وترجح بصحائف الذنوب، وهى تخرق الحجب حتى تصل الى الله عز وجل وهى الكلمة التى يصدّق الله قائلها وهى أفضل ما قاله النبيون، وهى أفضل الذكر، وهى أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفا وتعدل عتق الرقاب وتكون حرزا من الشيطان، وهى أمان من وحشة القبر وهول الحشر، وهى شعار المؤمنين اذا قاموا من قبورهم. ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم فى حقوقها فانهم لا بد أن يخرجوا منها، هذه عناوين الفضائل التى ذكرها ابن رجب فى رسالته واستدل لكل واحد منها[٢١]

---

(٢١) كلمة الاخلاص لابن رجب ٥٤ ـ ٦٦.

٣ - إعرابها وأركانها وشروطها :

ا - اعرابها

اذا كان فهم المعنى يتوقف على معرفة اعراب الجمل - فان العلماء رحمهم الله قد اهتموا باعراب لا اله الا الله - فقالوا: لا - نافية للجنس - وإله اسمها مبنى معها على الفتح وخبرها محذوف تقديره: (حق) أى لا اله حق، والا الله استثناء من الخبر المرفوع - والإله معناه: المألوه بالعبادة - وهو الذى تألهه القلوب وتقصده رغبة اليه فى حصول نفع أو دفع ضرر. ويغلط من قدر خبرها بكلمة: (موجود أو معبود) فقط، لأنه يوجد معبودات كثيرة من الأصنام والأضرحة وغيرها ولكن المعبود بحق هو الله. وما سواه فمعبود بالباطل وعبادته باطلة، وهذا مقتضى ركنى لا اله الا الله.

ب - ركنا لا اله الا الله :

لها ركنان : الركن الأول النفى - والركن الثانى الاثبات.

والمراد بالنفى نفى الالهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات.

والمراد بالاثبات اثبات الالهية لله سبحانه فهو الإله الحق ـ وما سواه من الآلهة التى اتخذها المشركون فكلها باطلة ،

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[٢٢] .

قال الامـام ابن القيم : فدلالة لا إله إلا الله على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله : الله إلّه ـ وهذا لأن قول (الله إلّـه) لا ينفى إلـٰهية ما سواه بخلاف قول : لا إله إلا الله فإنه يقتضي حصر الألوهية ونفيها عما سواه ، وقد غلط غلطاً فاحشا كذلك من فسر الاله بأنه القادر على الاختراع فقط .

قال الـشيخ سليمان بن عبـدالله فى شرح كتـاب التـوحيد ـ فان قيل قد تبـين معنى الإلّـه والإلهية فما الجـواب عن قول من قال بأن معنى الإله القادر على الاخـتراع ونحو هذه العبارة ـ قيل الجواب من وجهين أحدهما أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء

(٢٢) من الآية (٦٢) من سورة الحج .

ولا من أئمة اللغة ـ وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم[٢٣] فيكون هذا القول باطلا .

الثانى : ـ على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإآله الحق، فان اللازم أن يكون خالقا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإآله حق وان سمى إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإآله هو القادر على الاختراع فقد دخل فى الاسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطىء يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية[٢٤] .

حـ ـ وأما شروط لا اله الا الله : ـ

فانها لا تنفع قائلها ـ الا بسبعة شروط : ـ

الأول : العلم بمعناها نفيا واثباتا. فمن تلفظ بها وهو لا يعرف معناها ومقتضاها فانها لا تنفعه

(٢٣) وهو ما ذكرته هنا فى أركان لا إله الا الله .

(٢٤) تيسير العزيز الحميد ص ٨٠.

لأنه لم يعتقد ما تدل عليه ـ كالذى يتكلم بلغة لا يفهمها.

الثانى : اليقين وهو كمال العلم بها المنافى للشك والريب.

الثالث : الاخلاص المنافى للشرك. وهو ما تدل عليه لا اله الا الله.

الرابع : الصدق المانع من النفاق. فإنهم يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

الخامس : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك. بخلاف ما عليه المنافقون.

السادس : الانقياد بأداء حقوقها وهى الأعمال الواجبة اخلاصا لله وطلبا لمرضاته. وهذا هو مقتضاها.

السابع : القبول المنافى للرد[٢٥] وذلك بالانقياد لأوامر الله وترك ما نهى عنه.

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بخصوص هذه الكلمة

(٢٥) فتح المجيد ص ٩١.

العـظيمـة وبيان حقوقها وقيودها وأنها ليست مجرد لفظ يقال باللسان.

٤ ـ معنى هذه الكلمة ومقتضاها: ـ

إتضـح مما سبق أن معنى لا إله إلا الله ـ لا معبود بحق الا إلـه واحـد وهو الله وحده لا شريك له، لأنه المستحق للعبادة فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله من سائـر المعبـودات ليس بإلـه حق وأنـه باطل. لأنه لا يستحق العبادة.

ولهذا كثيرا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونا بنفى عبادة ما سواه، لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه ـ قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾(٢٦)

وقال تعالى:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢٧).

(٢٦) الآية (٣٦) من سورة النساء.

(٢٧) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

وقال تعالى

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٢٨)

وقال صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله)(٢٩).

وكل رسول يقول لقومه

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٣٠)

الى غير ذلك من الأدلة قال الامام ابن رجب رحمه الله: وتحقيق هذا المعنى وايضاحه أن قول العبد: لا اله الا الله يقتضى أن لا اله له غير الله ـ والاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل.

ولهـذا لما قال النبى صلى الله عليه وسلم لكفـار قريش: قولوا لا اله الا الله، قالوا:

(٢٨) الآية (٣٦) من سورة النحل.

(٢٩) صحيح مسلم رقم (٢٣) كتاب الإيمان.

(٣٠) الآية (٥٩) من سورة الأعراف.

﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[31]

ففهموا من هذه الكلمة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها وتحصر العبادة لله وحده وهم لا يريدون ذلك، فتبين بهذا المعنى أن معنى لا اله الا الله ومقتضاها إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فاذا قال العبد: لا اله الا الله فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة وبطلان عبادة ما سواه والقبور والأولياء والصالحين، وبهذا يبطل ما يعتقده عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا اله الا الله هو الاقرار بأن الله موجود أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك. أو أن معناها لا حاكمية إلا لله ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسر به لا اله الا الله فقد حقق التوحيد المطلق ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله والاعتقاد بالأموات والتقرب اليهم بالذبائح والنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربتهم، وما شعر هؤلاء أن كفار العرب الأولين يشاركونهم فى هذا الاعتقاد ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ويقرون بذلك وأنهم ما عبدوا غيره الا لزعمهم أنهم يقربونهم الى الله

(٣١) الآية (٥) من سورة ص.

زلفى لا أنهم يخلقون ويرزقون فالحاكمية جزء من معنى لا اله الا الله وليست هي معناها الحقيقى المطلوب فلا يكفى الحكم بالشريعة فى الحقوق والحدود والخصومات مع وجود الشرك فى العبادة.

ولو كان معنى لا اله الا الله ما زعمه هؤلاء لم يكن بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين نزاع بل كانوا يبادرون الى إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قال لهم أقروا بأن الله هو القادر على الاختراع أو أقروا أن الله موجود. أو قال لهم تحاكموا الى الشريعة فى الدماء والأموال والحقوق وسكت عن العبادة. لكن القوم وهم أهل اللسان العربى فهموا أنهم اذا قالوا (لا اله الا الله) فقد أقروا ببطلان عبادة الأصنام وأن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ لا معنى له، ولهذا نفروا منها وقالوا:

﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[٣٢]

كما قال الله عنهم

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ

(٣٢) من الآية (٥) من سورة ص.

أئنا لتاركوا ءالهتنا لشاعر مجنون ﴾[٣٣]

فعرفوا أن لا اله الا الله تقتضى ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم وهم يأنفون من التناقض، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع فهم يقولون لا اله الا الله، ثم ينقضونها بعبادة الأموات والتقرب الى الأضرحة بأنواع من العبادات فتبا لمن كان أبوجهل وأبولهب أعلم منه بمعنى لا اله الا الله.

والحاصل أن من قال هذه الكلمة عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها ظاهرا وباطنا من نفى الشرك وإثبات العبادة لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به فهو المسلم حقا، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهرا من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو المنافق، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافى لها فهو المشرك المتناقض فلابد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها، لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها قال تعالى:

(٣٣) الأيتان: (٣٥، ٣٦) من سورة الصافات.

﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الآية (٨٦) من سورة الزخرف.

والعمل بمقتضاها هو عبادة الله والكفر بعبادة ما سواه ـ وهو الغاية المقصودة من هذه الكلمة؛ ومن مقتضى لا اله إلا الله قبول تشريع الله فى العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم، ورفض تشريع من سواه ـ قال تعالى:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٣٤]

فلابد من قبول تشريع الله فى العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فى الأحوال الشخصية وغيرها رفض القوانين الوضعية. ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التى يبتدعها ويروجها شياطين الأنس والجن فى العبادات ومن تقبل شيئا من ذلك فهو مشرك كما قال فى هذه الآية:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

(٣٤) سورة الشورى الآية (٢١).

وقال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[35]

وقال تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[36] .

وفى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم : تلى هذه الآية على عدي بن حاتم الطائى رضى الله عنه فقال: يارسول الله لسنا نعبدهم ، قال: أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه، قال: بلى ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : فتلك عبادتهم)[37] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : فصارت طاعتهم فى المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابا كما هو الواقع فى هذه الأمة. وهذا من الشرك الأكبر. المنافى للتوحيد الذى هو مدلول شهادة أن لا اله الا

---

(٣٥) سورة الأنعام الآية (١٢١).

(٣٦) سورة التوبة الآية (٣١).

(٣٧) رواه الترمذى رقم (٣٠٩٤) فى التفسير.

الله . . . فتبين أن كلمة الاخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة[٣٨] .

وكذلك يجب رفض التحاكم القوانين لأنه يجب التحاكم الى كتاب الله وترك التحاكم الى ما عداه من النظم والقوانين البشرية . . . .

قال تعالى :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٣٩]

وقال تعالى :

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾[٤٠]

وقد حكم سبحانه بكفر من لم يحكم بما أنزل الله وبظلمه وفسقه . ونفى عنه الايمان مما يدل على أن الحكم بغير ما أنزل الله اذا كان الحاكم به يستبيحه أو يرى أنه أصلح من حكم الله وأحسن فهذا كفر وشرك ينافي التوحيد ويناقض لا اله الا الله تمام المناقضة ـ وان كان

---

(٣٨) فتح المجيد (١٠٧) .

(٣٩) سورة النساء الآية (٥٩) .

(٤٠) سورة الشورى الآية (١٠) .

لا يستبيح ذلك ويعتقد أن حكم الله هو الذى يجب الحكم به ـ ولكن حمله الهوى على مخالفته فهذا كفر أصغر وشرك أصغر يُنقِّضُ معنى لا اله الا الله ومقتضاها.

إذاً ـ فلا اله الا الله منهج متكامل يجب أن يسيطر على حياة المسلمين وجميع عباداتهم وتصرفاتهم فليست لفظا يردد للبركة والأوراد الصباحية والمسائية بدون فهم لمعناه وعمل بمقتضاه والسير على منهجه كما يظنه كثير ممن يتلفظون بها بألسنتهم ويخالفونها فى معتقداتهم وتصرفاتهم.

ومن مقتضى لا اله الا الله اثبات أسماء الله وصفاته التى سمى ووصف بها نفسه أو سماه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[41]

قال فى فتح المجيد : ـ وأصل الالحاد فى كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف وأسماء

(٤١) سورة الأعراف الآية (١٨٠).

الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى الى عباده ودلت على كماله جل وعلا .

وقال رحمه الله[٤٢] فالالحاد فيها ما يجحدها وانكارها، واما بجحد معانيها وتعطيلها ، واما بتحريفها عن الصواب واخراجها عن الحق بالتأويلات ، واما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كالحاد أهل الاتحاد فانهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها . . . انتهى .

فمن ألحد فى أسماء الله وصفاته بالتعطيل والتأويل أو التفويض ولم يعتقد ما دلت عليه من المعانى الجليلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة فقد خالف مدلول لا اله الا الله ـ لأن الاله هو الذى يدعى ويتوسل اليه بأسمائه وصفاته ـ كما قال تعالى : (فادعوه بها) والذى ليس له أسماء ولا صفات كيف يكون الٰها وكيف يدعى وبماذا ـ يدعى . . .

قال الامام ابن القيم رحمه الله : تنازع الناس فى كثير

(٤٢) فتح المجيد ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ وانظر مدارج السالكين (١/ ٢٩ـ ٣٠) لابن القيم .

من الأحكام ولم يتنازعوا فى آيات الصفات وأخبارها فى موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على اقرارها وامرارها مع فهم معانيها واثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا وأن العناية ببيانها أهم، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين واثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بيانا شافيا لا يقع فيه ليس.

وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها الا الخاصة من الناس.

وأما آيات الصفات فيشترك فى فهم معناها الخاص والعام، أعنى فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية(٤٣).

وقال أيضا: وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية أن فاقد صفات الكمال لا يكون الها ولا مدبرا ولا ربا، بل هو مذموم معيب ناقص، ليس له الحمد لا فى الأولى ولا فى الآخرة، وانما الحمد فى الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التى لأجلها

(٤٣) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ١٥).

استحق الحمد، ولهذا سمى السلف كتبهم التى صنفوها فى السنة واثبات صفات الرب وعلوه فى خلقه وكلامه وتكليمه توحيدا، لأن نفى ذلك وانكاره والكفر به انكار للصانع وجحد له، وانما توحيده اثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائض[٤٤].

٥ ـ متى ينفع الانسان قول لا اله الا الله ومتى لا ينفعه ذلك: ـ

سبق أن قلنا أن قول لا اله الا الله لابد أن يكون مصحوبا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها ـ ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها إن مجرد التلفظ بها يكفى وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس. اقتضى الأمر إيضاح ذلك لازالة هذا الوهم عمن يريد الحق، قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله على حديث عتبان... الذى فيه: (فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله)[٤٥] قال: اعلم انه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم

(٤٤) مدارج السالكين (١/٢٦).

(٤٥) رواه البخارى ١١/٢٠٦ ومسلم رقم (٣٣).

على النار كهذا الحديث وحديث أنس قال: (كان النبى صلى الله عليه وسلم ومعـاذ رديفه على الرحل فقال: يا معاذ: قال لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا حرمه الله على النار)[٤٦] ولمسلم عن عبادة مرفوعا: (ومن شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله حرمه الله على النار)[٤٧] ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار، منهـا حديث عبـادة الـذى تقـدم قريبـا وحـديث أبى هريرة أنهم كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ـ الحديث وفيه ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) رواه مسلم[٤٨].

---

(٤٦) رواه البخارى ١/ ١٩٩.

(٤٧) صحيح مسلم (١/ ٢٢٨ـ ٢٢٩) بشرح النووي.

(٤٨) صحيح مسلم مع شرح النووى (١/ ٢٢٤).

ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية

قال : وأحسن ما قيل فى معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره : ان هذه الأحاديث انما هى فيمن قالها ومات عليها. كما جاءت مقيدة وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين ، فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح الى الله جملة فمن شهد أن لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة لأن الاخلاص هو انجذاب القلب الى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا فاذا مات على تلك الحال نال ذلك، فانه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرا ممن يقول لا اله الا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا اله الا الله، ومن شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص ولا اليقين ومن لا

يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليدا وعادة لم يخالط الايمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفى القبور أمثال هؤلاء كما فى الحديث «سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» وغالب أعمال هؤلاء انما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٤٩]

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فانه اذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن فى هذه الحال مصرا على ذنب أصلا، فان كمال اخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب اليه من كل شىء فاذاً لا يبقى فى قلبه ارادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله وهذا هو الذى يحرم على النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك، فان هذا الايمان وهذه التوبة وهذا الاخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا الا يمحى كما يمحى الليل بالنهار. انتهى كلامه رحمه الله[٥٠].

(٤٩) الآية (٢٣) من سورة الزخرف.

(٥٠) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد ص ٦٦-٦٧.

ما قاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٥١] : -

ولهم شبهة أخرى يقولون أن النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال لا اله الا الله، وقال: (أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله) وأحاديث أخرى فى الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهال معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا اله الا الله، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويصلّون وَيدَّعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم على بن أبى طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله، وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه اذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذى هو أصل دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

(٥١) انظر مجموعة التوحيد صـ ١٢٠ - ١٢١.

وقال رحمه الله: فأما حديث أسامة فانه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه. ما إدعاه إلا خوفا على دمه وماله، والرجل اذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله فى ذلك

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾(٥٢)

أى فتثبتوا فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فان تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله: (فتبينوا) ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه الا أن تبين منه ما يناقض ذلك... والدليل على هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال: (أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله) وقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله) هو الذى قال فى الخوارج (أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) مع كونهم من أكثر الناس تهليلا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم

---

(٥٢) من الآية (٩٤) من سورة النساء.

لا اله الا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لّما ظهر منهم مخالفة الشريعة وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة.

ما قاله الحافظ بن رجب

وقال الحافظ ابن رجب فى رسالته المسماة: (كلمة الاخلاص)[٥٣] على قوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن (لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله) قال: ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا فى قتال مانعى الزكاة ـ وفهم الصديق أنه لا يمنع قتاله الا بأداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وسلم: (فاذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهم الا بحقها وحسابهم على الله، وقال: (الزكاة حق المال) وهذا الذى فهمه الصديق قد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى

(٥٣) كلمة الاخلاص لابن رجب صـ ١٣ـ ١٤.

يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) وقد دل على ذلك قوله تعالى:

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾

كما دل قوله تعالى:

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾

على أن الأخوة فى الدين لا تثبت الا بأداء الفرائض مع التوحيد فان التوبة من الشرك لا تحصل الا بالتوحيد فلما قرر أبوبكر هذا للصحابة رجعوا الى قوله ورأوه صوابا فاذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقا، بل يعاقب باخلاله بحق من حقوق الاسلام فكذلك عقوبة الآخرة، وقال أيضا[٥٤]: وقالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا اله الا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك.

ولكن المقتضى لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع ـ وهذا قول الحسن ووهب بن

(٥٤) فى ص ٩ ـ ١١ من رسالة كلمة الإخلاص.

منبه وهو الأظهر ـ ثم ذكر عن الحسن البصرى أنه قال للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ـ قال : شهادة أن لا اله الا الله منذ سبعين سنة ـ قال الحسن : نعم العدة ـ لكن للا اله الا الله شروط فاياك وقذف المحصنات ـ وقيل للحسن : أن أناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال : من قال لا اله الا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة ـ وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة ـ قال : بلى ولكن ما من مفتاح الا له اسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك . . .

وأظن أن فى هذا القدر الذى نقلته من كلام أهل العلم كفاية فى رد هذه الشبهة التى تعلق بها من ظن أن من قال لا اله الا الله لا يكفر ولو فعل ما فعل من أنواع الشرك الأكبر التى تمارس اليوم عند الأضرحة وقبور الصالحين مما يناقض كلمة لا اله الا الله تمام المناقضة ويضادها تمام المضادة، وهذه طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون من النصوص المجملة ما يظنون أنه حجة لهم ويتركون ما يبينه ويوضحه النصوص المفصلة كحال

الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وقد قال الله فى هذا النوع من الناس:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(٥٥)

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . . .

٦ ـ آثار لا اله الا الله

هذه الكلمة اذا قيلت بصدق واخلاص وعمل

(٥٥) الآيات من (٧ ـ ٩) من سورة آل عمران.

بمقتضاها ظاهرا وباطنا آثار حميدة على الفرد والجماعة من أهمها : -

١ - اجتماع الكلمة التى ينتج عنها حصول القوة للمسلمين والانتصار على عدوهم لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة كما قال تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[٥٦]

وقال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥٧].

والاختلاف فى العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر كما قال تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[٥٨].

وقال تعالى :

---

(٥٦) الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٥٧) الآيتان رقم (٦٢ - ٦٣) من سورة الأنفال.

(٥٨) الآية رقم (١٥٩) من سورة الأنعام.

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٥٩] .

فلا يجمع الناس سوى عقيدة الإيمان والتوحيد التى هى مدلول لا اله الا الله واعتبر ذلك بحالة العرب قبل الاسلام وبعده.

٢ - توفر الأمن والطمأنينة فى المجتمع الموحد الذى يدين بمقتضى لا اله الا الله لأن كلا من أفراده يأخذ ما أحل الله له ويترك ما حرم الله عليه تفاعلا مع عقيدته التى تملى عليه ذلك فينكف عن الاعتداء والظلم والعدوان ويحل محلْ ذلك التعاون والمحبة والموالاة فى الله عملا بقوله تعالى :
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٦٠] .

يظهر هذا جليا فى حالة العرب قبل أن يدينوا بهذه الكلمة وبعد ما دانوا بها - فقد كانوا من قبل أعداء متناحرين يفتخرون بالقتل والنهب والسلب فلما دانوا بها أصبحوا اخوة متحابين كما قال تعالى :

---

(٥٩) الآية رقم (٥٣) من سورة المؤمنون.

(٦٠) الآية رقم (١٠) من سورة الحجرات.

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[61].

وقال تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[62].

٣ ـ حصول السيادة والاستخلاف فى الأرض وصفاء الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادىء المختلفة ـ كما قال تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[63].

فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له الذى هو معنى ومقتضى لا اله الا الله.

---

(٦١) الآية رقم (٢٩) من سورة الفتح.

(٦٢) الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٦٣) الآية رقم (٥٥) من سورة النور.

٤ ـ حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهنى لمن قال لا اله الا الله وعمل بمقتضاها لأنه يعبد ربا واحدا يعرف مراده وما يرضيه فيفعله ويعرف ما يسخطه فيجتنبه بخلاف من يعبد آلهة متعددة كل واحـد منها له مراد غير مراد الأخر وله تدبير غير تدبير الآخر كما قال تعالى :

﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾(٦٤)

وقال تعالى :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾(٦٥).

قال الامام ابن القيم رحمه الله: هذا مثل ضربه الله سبحـانـه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبـد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون والرجل المتشاكس: السيء الخلق.

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعـة متنـافسـون فى خدمته لا يمكنه أن يبلغ

---

(٦٤) الآية رقم (٣٩) من سورة يوسف.

(٦٥) الآية رقم (٢٩) من سورة الزمر.

رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق الى رضاه فهو فى راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه ورحمته له وشفقته عليه واحسانه اليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوى هذان العبدان[٦٦].

٥ ـ حصول السمو والرفعة لأهل لا اله الا الله فى الدنيا والآخرة ـ كما قال تعالى

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٦٧]

فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع وأن الشرك هبوط وسفول وسقوط .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: شبه الايمان والتوحيد فى علوه وسعته وشرفه بالسماء التى هى مصعده ومهبطه، فمنها هبط الى الأرض واليها

(٦٦) اعلام الموقعين (١/١٨٧).

(٦٧) الآية رقم (٣١) من سورة الحج.

يصعد منها، وشبه تارك الايمان والتوحيد بالساقط من السماء الى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتركمة والطير التى تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التى يرسلها الله تعالى وتؤزره وتزعجه وتقلقه الى مظان هلاكة - والريح التى تهوى به فى مكان سحيق هو هواه الذى يحمله على القاء نفسه فى أسفل مكان وابعده عن السماء[٦٨].

٦ - عصمة الدم والمال والعرض، لقوله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها)[٦٩]، وقوله (بحقها) معناه أنهم اذا قالوها وامتنعوا من القيام بحقها وهو أداء ما تقتضيه من التوحيد والابتعاد عن الشرك والقيام بأركان الاسلام أنها لا تعصم أموالهم ولا دماءهم بل يقتلون وتؤخذ أموالهم غنيمة للمسلمين كما

(٦٨) أعلام الموقعين (= ١٨٠).

(٦٩) رواه البخارى (١٣/ ٢١٧) فى الاعتصام.

فعل بهم النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه.

هذا ـ ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والجماعة فى العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق. . .

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.